العدول عن المطابقة بين الضمير ومرجعيته في القرآن الكريم وقراءاته
دراسة تداولية تطبيقية[١]

إعـــداد

ا/ علاء يونس فرج عبد الغني

مقدمة:

تضـــع العربية في نظامها اللغوي نمطًا تركيبيًا ثابتًا لكل تركيب نحوي، وهو ما يعرف **بالأصل**، أو **أصل الوضع**، أو **أصل القاعدة**، والمقصود بهذه المصطلحات هو **البناء الأســاســي للجملة العربية**، "وهذا الأصــل نمط خاص تتحقق به الفائدة"[٢]، فمعلوم أن للجملة العربية عند النحاة ركنين؛ هما: "المســند إليه، والمســند، فأما في الجملة الاســمية فالمبتدأ **(مســند إليه)**، والخبر **(مســند)**، وأما في الجملة الفعلية فالفاعل –أو نائبه– **(مسند إليه)**، والفعل **(مسند)**، وكل ركن من هذين الركنين عمدة لا تقوم الجملة إلا به، وما عدا هذين الركنين مما تشــتمل عليه الجملة فهو فضــلة يمكن أن يســتغني عنه تركيب الجملة، هذا هو أصــل الوضــع بالنســبة إلى الجملة العربية"[٣].

---

(١) هذا البحث مُســتَلٌّ من رســالة دكتوراه للباحث، بعنوان: **(التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في ســياق القصــص القرآني: دراســة في ضــوء قصــد المتكلم وفهم الســامع)**، نوقشت بكلية الآداب– جامعة الفيوم في فبراير ٢٠٢٤م.

(٢) الأصول، د/تمام حسان: ص١٣٠.

(٣) الأصول، د/تمام حسان: ص١٢١.

ولكن هذه التراكيب الثابتة المعهودة يصيبها التغيير في بعض السياقات، ويُعدل عنها بحسب قصد المتكلم، بشرط تحقق الإفادة، وأمْن اللبس في الكلام، فيصبح حينئذ تغييرًا عارضًا يطرأ على البناء الأصلي للجملة؛ فيُعدل عن الذكر إلى الحذف، وعن الإظهار إلى الإضمار، وعن الوصل إلى الفصل، وعن أصل الترتيب إلى التقديم والتأخير، "وشرط جواز العدول عن أصل من هذه الأصول أنْ يؤمن اللبس، فتتحقق الفائدة؛ ومن هنا لا يكون الحذف إلا مع وجود الدليل، ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المفسر، ولا يكون الفصل إلا بغير الأجنبي، ولا التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى، وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ"[١].

ويُعد العدول أحد الأساليب البلاغية التي استعملها العرب، وشاع استعماله في كلامهم، وهو أسلوب يخرج فيه المتكلم عما هو مألوف من قواعد النظام اللغوي إلى استعمال خاص؛ لمعنى يقصده، وقد عرفه د/تمام حسان بأنه: "خروج عن أصل، أو مخالفة لقاعدة، ولكنَّ هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرًا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يُقاس عليها"[٢]، وهو دليل على اتساع اللغة العربية ومرونتها. وتأسيسًا على أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب وجرى البيان القرآني على مذاهبها وأساليبها وسننها في الكلام، فإنه يمكن القول إن الأسلوب العدولي في القرآن الكريم يُعد أحد وجوه الإعجاز في النظم القرآني، وآية من آيات التأنق في أسلوبه.

ومن صور العدول الواردة في القرآن الكريم "**العدول عن المطابقة بين الضمير ومرجعيته**"، وتُعرف المطابقة بأنها: "**مظهر من مظاهر اللغة، اقتضته الصناعة**

---

[١] الأصول، د/تمام حسان: ص١٢٢.

[٢] ينظر: البيان في روائع القرآن "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني"، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٣٤٧.

اللفظية في بعض الأبواب النحوية؛ لضبط العبارة لفظًا، وتوضيحها معنى"[١]، وقد أشار النحاة إلى وجوب المطابقة في الكلام؛ حتى لا يحدث لبس فيه، وتتمثل المطابقة في خمسة مظاهر؛ هي[٢]:

- **العلامة الإعرابية**.
- **الشخص: (التكلم، والخطاب، والغيبة)**.
- **العدد: (الإفراد، والتثنية، والجمع)**.
- **النوع: (التذكير، والتأنيث)**.
- **التعيين: (التعريف، والتنكير)**.

وتحقُّق المطابقة في هذه الأبواب يسهم في ارتباط المعنى –كما يرى د/**تمام حسان**–رحمه الله– فيقول: "ولا شكَّ أن المطابقة في أيَّةِ واحدةٍ مِن هذه المجالاتِ الخمسة تُقوِّي الصلة بين المتطابقين، فتكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى، وتكون قرينة لفظية على الباب الذي يقع فيه ويعبِّر عنه كل منهما؛ فبالمطابقة تتوثق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها، وبدونها تتفكك العُرَى، وتصبح الكلمات المتراصّة منعزِلًا بعضها عن بعضٍ، ويصبح المعنى عسيرَ المنال"[٣].

وقد يُعدَل عن المطابقة في الكلام، إلا أنَّ "النظام اللغوي يسمح ببعض الترخص في القرائن التي تعمل متعاونة على إحكام تماسك الجملة، على أنَّ هذا

---

(١) المطابقة وأحكامها "دراسة نحوية تطبيقية"، د/عوض إسماعيل عبد الله، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، العدد ٢٨، ٢٠١٠م، ١/٢٠.

(٢) يُنظَر: اللغة العربية معناها ومبناها، د/تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، بدون طبعة، د.ت، ص٢١١–٢١٢.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ص٢١٢–٢١٣.

الترخص نفسه جزء من النظام اللغوي، يُسمح به في الموضع المعين؛ لأداء غرض مخصوص، ومعنى هذا أنه لم يحدث عبثًا أو تلاعبًا، ولكنْ يؤتى به عن قصدٍ وتعمُّدٍ؛ بهدفِ إحداثِ أثرٍ معَيَّنٍ"(١).

ومن الثابت أن مجيء تركيب لغوي بعينه في موضعه المناسب له، وتفضيل تركيب على تركيب آخر في موضع ما، هو خصيصة فريدة للنص القرآني الحكيم؛ فهو نص إلهي معجز يسوق الأحداث ويعرضها بأسلوب فريد متميز له طبيعته الخاصة به، ويكون هذا "مع فصاحة لفظ، وبلاغة أسلوب، تبهر العقول، وتسلب القلوب، وإعجازِ نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب"(٢)، وكذلك ينبغي أن يكون كل كلام بليغ مراعيًا تلك الدقائق والفروق بين العبارات والتراكيب، فإن المتكلم البليغ "هو الذي يلتفت إلى تلك الدقائق، ويراعي هذه النكات البلاغية، ويقدر على تطويع الكلام، وتكييف العبارات وصياغتها على حسب ما يقتضيه المقام"(٣)، وقد جاء النص القرآني بأَشرف مِن هذا وأَعظمه وأَعجبه، بأسلوب بليغ معجز، ولا شك أن "الأسلوب اختيار choice، أو Auswhal؛ فالمنشئ يستطيع أن يختار من إمكانيات اللغة ما يستطيع، وما يرى أنه الأقدر على خدمة رؤيته وموقفه، وما يمكن أن يكون قادرًا على خَلْق استجابة معينة عند المتلقي"(٤).

وبالنظر في آي الذكر الحكيم نجد أنه تم العدول في بعض السياقات عن أصل القاعدة لإرادة مقصد دلالي بعينه، فقد يتطلب السياق القرآني صورة تركيبية

---

(١) العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د/محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٤٣٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق/مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط١، بدون تاريخ، ج١/ص٤.

(٣) علم المعاني "دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني"، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ؛ ج٢/ص١٢٣.

(٤)الأسلوبية "مفاهيمها وتجلياتها"، موسى سامح ربابعة، دار الكندي، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م، ص: ٢٦.

بعينها دون سواها، تكون الدلالة المتوخاة من التركيب القرآني أكثر وضوحًا فيها من غيرها من الصور التركيبية الأخرى؛ ففي قول الله ﷻ وجل: (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)[١] عُدِل عن المطابقة بين الضمير ومرجعيته، وقد اختلف القراء في هذه الآية على قسمين[٢]؛ إذ:

- قرأ الجمهور: **(لِحُكْمِهِم)** على الجمع، وقد استُعمل ضمير الجمع للاثنين؛ أي لداوود وسليمان υ.
- وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبلة[٣]: **(لِحُكْمِهِما)** على التثنية، وهو لداوود وسليمانυ.

وقد اختلف المفسرون في توجيه عَجُز هذه الآية:

- فقال بعض المفسرين إن المراد بضمير الجمع ثلاثة؛ هم: داوود، وسليمان، والمحكوم عليه[٤].
- ويرى الزمخشري[٥] أنه جمع الضمير؛ لأن الله ﷻ وجل أراد داوود، وسليمان، والمتحاكمين إليهما.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تحقيق/عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ج ٦/ص٣٠٧، وينظر: معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج٦/ص٣٨.

(٣) يُنظَر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٣٧١/٥.

(٤) يُنظَر: فتح القدير: ٤٩٣/٣.

(٥) يُنظَر: الكشاف: ١٥٧/٤.

- ويرى ابن أبي الإصبع أن ضمير الجمع يعود على المثنى **(داوود، وسليمان)** υ؛ وأن هذا ضرب من بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي والبياني[١].

- يرى بعضهم أن اللفظ جمعٌ والمراد به الاثنان، "واستد بذلك مَن قال إن أقل الجمع اثنان، وجوز أن يكون الجمع للتعظيم"[٢]، وإطلاق لفظ الجمع على الاثنين مذهب طائفة من أهل العربية كالفراء، والزمخشري، والرضي[٣].

- ومنهم من يرى أن ضمير الجمع يعود على الحاكمَينِ **(داوود، وسليمان)**، والمحكوم لهما وعليهما[٤]، ويكون المعنى إذنْ: "وكنا لحكم داوود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدتْ غنمُ أهلِ الغنمِ مِنْ حرْثِ أهلِ الحرثِ شاهدينَ، لا يخفى علينا منه شيءٌ، ولا يغيب عنا عِلمُه"[٥].

ولكني أرى –والله أعلم– أن القول بأن ضمير الجمع يعود على الاثنين هو الرأي الأقرب إلى تحقيق الدلالة المقصودة في الآية الكريمة؛ لأن هذا العدول من سنن العرب في كلامها –كما ذكر ذلك ابن فارس– في قوله: "من سنن العرب الإتيان

---

(١) يُنظَر: تحرير التحبير: ٣٤٨/١.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ضبطه وصححه/علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م، ٧١/٩.

(٣) يُنظَر: فتح القدير: ٤٩٣/٣.

(٤) يُنظَر: الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها كلية الدراسات العليا والبحث العلمي–جامعة الشارقة، مطبوعات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م، ٤٧٨٩/٨، والبحر المحيط: ٣٠٧/٦.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د/عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، ٣٢١/١٦.

بلفظ الجمع والمراد واحد واثنان"[١]، وهو أمر شـــائع عندهم في لغتهم؛ ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ)**[٢]، وكان ذلك المنادي واحدًا، وقوله سبحانه: **(إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)**[٣]، وهما قلبان فحسب. ومن ذلك أيضًا جملة من الشعر؛ منها ما يأتي:

قول عبيد بن الأبرص في معلقته[٤]:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

"**وإنما القطبية ماءٌ واحدٌ معروفٌ**"[٥].

ومنه أيضًا قول الفرزدق[٦]:

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة، ومسائلها، وسُنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه، ووضع حواشيه/أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص١٦١.

[٢] سورة الحجرات، الآية: ٤.

[٣] سورة التحريم، الآية: ٤.

[٤] ديوان عبيد بن الأبرص، شرحه/أحمد أشرف عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص١٩، ويُنظَر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلَّام الجمحي، قرأه، وشرحه، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، بدون طبعة، د.ت، ١٣٩/١، وشرْح القصائد العشر، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي، حقق أصوله، وضبط غرائبه، وعلق حواشيه/محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، بدون طبعة، د.ت، ص٥٣٧، والبيت من مخلَّع البسيط.

[٥] الخصائص: ٤٢٠/٢.

[٦] ديوان الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، شرحه، وضبطه، وقدم له/علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٣٢٣، والبيت من بحر الكامل.

وَإذا ذَكَـرْتَ أبَـاكَ أوْ أيّـامَـهُ أخْـزَاكَ حَيْـثُ تُـقَبَّـلُ الأحْـجـارُ

فذكر (**الأحجار**) وهو يريد (**الحجر**)[(١)].

ويقول أيضًا[(٢)]:

وَيَا لَيْتَ زَوْرَاءَ المَدِينَةِ أَصْـبَحَتْ بِـأَحْفَـارِ فَلْجٍ أَوْ بِسَـيْفِ الكَوَاظِمِ

والمعنى: أنه "يريد (**الحفر**) و (**كاظمة**)؛ ووجه ذلك أن العرب قد تُوقع على الجزء اسمَ الكل؛ ألا ترى أنك لو لمست ناحية من الحجر، أو من الصهوة، أو من الجِيد، لقلت: (**لمستُ الحجرَ، ولمستُ الصهوةَ، ولمستُ الجِيدَ!**)"[(٣)].

ونحو ذلك قول أمير الشعراء[(٤)]:

وَإذا رَحِـمْـتَ فَـأَنْـتَ أُمٌّ أَو أَبٌ هَـذانِ في الـدُّنْيـا هُمـا الرُّحَمـاءُ

فجاءت كلمة (**الرحماء**) جمعًا في وصف الوالدَينِ؛ وهما اثنان فقط.

---

(١) يُنظَر: الخصائص: ٤٢٢/٢.

(٢) ديوان الفرزدق: ص٦١١، ولسان العرب، ص٩٢٦، مادة (**ح ف ر**)، والبيت من بحر الطويل.

(٣) ضرائر الشعر، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الإشبيلي، تحقيق/السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م، ص٢٥٦.

(٤) ديوان أحمد شوقي "الشوقيات-الأعمال الشعرية الكاملة"، دار العودة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٦، والبيت من بحر الكامل.

وقد ورد مثل هذا في **لغة النثر** عند العرب في مواطن كثيرة؛ فجاءوا بالمثنى وأرادوا به المفرد، وجاءوا بالجمع وأرادوا به المفرد والمثنى؛ فمنه ما جاء في قولهم: **(شابَتْ مفارقُه)**[١]؛ وإنما له مفرقٌ واحدٌ، وقولهم: **(ألقاه في لهواتِ الليثِ)**[٢]؛ وإنما له لهاةٌ واحدةٌ، "وقالت العرب: **(قطعتُ رؤوسَ الكبشـــينِ)**، وليس لهما إلا رأســـين"[٣]، **وقالوا: "بعيرٌ ذو عثانِينَ"**[٤]؛ **أي:** "كأنه جعل كل جزء عثنونًا فجمعه"[٥]، وقولهم: **(هو رَجُلٌ عظيمُ المناكبِ)**[٦]؛ **وإنما له منكبانِ.**

وقد تم العدول في الآية الكريمة عن المطابقة بين المثنى ومرجعيته؛ وذلك لأغراض دلالية؛ منها الإشارة إلى فخامة حكم داوود وسليمان υ وعُلُوِّ منزلته؛ ومن ثم فإنه جدير بأن يكون نبراسًا ومثالًا للعدل في أسمى معانيه، وليس أَدَلَّ على ذلك مِنْ شهادة الله –سبحانه– له وتشريفه إياه، وفي هذا يقول ابن أبي الإصبع: "إذ جمع الضمير الذي أُضيفَ إليه الحكم، ومن حقه أن يكون مثنى؛ لعلمه –سبحانه– أن الحكم من نوادر الأحكام المعادلة، ومِثله يُتَّبَع ويُعمل به، فأَخبر أنه –سبحانه– شهد عليهما في هذا الحكم، وعلى كلِّ مَن يحكم به؛ **تشريفاً لحكم العدل**، وإنْ كان شهيدًا على العدل والجور، ولكنه –سبحانه– يخص العدل بشهادته؛ تشريفاً للعدل"[٧].

---

(١) المساعد على تسهيل الفوائد، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق وتعليق د/محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ٤٣/١.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ضبطه، وصححه، ووضع حواشيه/فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ١٧١/٢.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١٧٣/٢.

(٤) تاج العروس: ٣٧٥/٣٥، مادة: **(ع ث ن)**.

(٥) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٢٦٩/٤.

(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١٧١/٢، والمخصص: ٥٨٣/٢.

(٧) تحرير التحبير: ٣٤٨/١.

فلما كان الأمر كذلك جيء بالضمير مجموعًا؛ للإشارة إلى كونه قد أصبح علمًا بارزًا، وآية بينة في باب العدل، "كما قال تعالى: **(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا)**[١]؛ نظرًا لمَنْ يعمل بحكم الله –تعالى– في الوصايا، ومَن يتبعه، وأن حكم العدل يُقتدَى به، والخطأ ليس بقدوة؛ ولهذا قال: **(وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا)**[٢]"[٣].

ولكن أبا حيان[٤] يرى أن ضمير الجمع في لفظة **(لِحُكْمِهِم)** عائدٌ على كلٍّ مِن **(الحاكمين والمحكوم لهما وعليهما)**، وهو رأي –أراه– غير مطابق لسياق الآيات؛ لأن الأصل في الضمير –كما هو معلوم– عَوْده إلى أقرب مذكور[٥]، ولأن الجمع في دلالة الضمير العائد على الاثنين بين نبيَّي الله –عليهما السلام– وبين طرفَي الخصومة قد يُقَوِّت المرادَ من دلالة العدول –التي ذكرتها آنفًا– في مرجعية المثنى، على الرغم من أنه أمر وارد في لغة العرب شعرًا ونثرًا، وليس هناك ما يمنع أن تكون الآية الكريمة قد جاءت على هذه اللغة، وقد نقل السيوطي في المزهر قائلًا: "وقال

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٣) تحرير التحبير: ٣٤٨/١.

(٤) يُنظَر: البحر المحيط: ٣٠٧/٦.

(٥) يُنظَر: الإتقان في علوم القرآن: ١٢٧١/٤، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ضبطه، وصححه، ووضع فهارسه/أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، ٣١٧/٢، والكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أعده، ووضع فهارسه د/عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ٥٦٩/١، والنحو الوافي: ٢٥٦/١ **(حاشية/٢)**، وأصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، ص٥٧.

ابن خالويه في شـرح الفصـيح: قد أجمع الناس جميعًا أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، لا خلاف في ذلك"[١].

وبهذا يتضـح أن "هذا العدول لا يؤدي إلى فسـاد المعنى أو خلل في التركيب بين أجزاء الجملـة، أو المعنى النحوي، فقد يكون هـذا لأغراض يتطلبهـا المقـام ولا يتأتى المعنى بدونها، أو قد يكون لضـرورة يقتضـيها السـياق"[٢]، فالخطاب يمكن ترجمته في قالب لغوي، ويعني هذا أن ثمة ارتباطًا وثيقًا بين البنية اللغوية **(التركيبية)** والدلالـة التي تراد من التعبير بكل نمط، أو تركيب لغوي، وعلى كل متكلم بليغ، أو مبدع حاذق أن يتخير من هذه الأوجه ما هو أجود وأنسـب في إيصـال المعنى الذي يقصـده، متوخيًا في سـبيلِ تحقيقِ ذلك الصـيغةَ التركيبيَّة التي تمكنه من التعبير عما يريد، وأن يصطفي من الأساليب والتراكيب ما يمكنه من تحقيق المعنى المقصود لديه على أبلغ وجه وأحسنه.

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/١٦٨.

(٢) العدول عن المطابقة بين الضـمير ومرجعه.. دراسـة نحوية تحليلية في القرآن الكريم، د/أسـماء محمد رفعت عبد الحكيم، بحث منشـور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسـانية– جامعة قناة السويس، العدد (٢١)، يونية ٢٠١٧م، ص٩١.

تعقيب:

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

١. بين البحث أن العدول من الأساليب البلاغية التي جرت على ألسنة العرب، وهو أسلوب يخرج فيه المبدع أو المتكلم عن أصل القاعدة إلى غيرها؛ تحقيقًا لأغراض دلالية في الكلام في ضوء ما يسمح له به النظام اللغوي.

٢. لا يؤدي هذا العدول إلى فساد المعنى أو خلل في التركيب بين أجزاء الجملة، أو المعنى النحوي، ولا يعني خروجًا عن الجادة الصحيحة؛ وإنما يؤتى به لتحقيق أبعاد دلالية لا يتسنى للبلغاء، وأرباب الفصاحة تحقيقها إلا بالخروج عما هو مألوف من قواعد وتراكيب.

٣. يكون الغرض من العدول تحقيق أبعاد دلالية يتطلبها المقام، وقد يكون لضرورة يقتضيها السياق، وعلى كل متكلم بليغ أن يتخير– في سبيلِ تحقيقِ ما يقصده من معانٍ ودلالاتٍ– الصيغةَ التركيبيَّة التي تمكنه من التعبير عما يريد.

٤. ورد العدول في لغة القرآن الكريم في أكثر من موضع دالًّا في كل سياق على إعجاز النص القرآني وكمال بلاغته.

فهرس المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق/مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط١، د.ت.

٢. الأسلوبية "مفاهيمها وتجلياتها"، موسى سامح ربابعة، دار الكندي، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

٣. أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤. الأصول.. دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب "النحو، فقه اللغة، البلاغة"، د/تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، بدون طبعة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تحقيق/عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦. البيان في روائع القرآن "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني"، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق/عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، بدون طبعة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن أبي الإصبع المصري، تحقيق د/حفني محمد شرف، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة، بدون طبعة، د.ت.

٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د/عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٠. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق/محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بدون طبعة، د.ت.

١١. ديوان أحمد شوقي "الشوقيات-الأعمال الشعرية الكاملة"، دار العودة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

١٢. ديوان الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، شرحه، وضبطه، وقدم له/علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٣. ديوان عبيد بن الأبرص، شرحه/أحمد أشرف عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ضبطه وصححه/علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٥. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦. شرْح القصائد العشر، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي، حقق أصوله، وضبط غرائبه، وعلق حواشيه/محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، بدون طبعة، د.ت.

١٧. الصاحبي في فقه اللغة، ومسائلها، وسُنن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه، ووضع حواشيه/أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٨. ضـــرائر الشـــعر، أبو الحســـن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصـــفور الإشبيلي، تحقيق/السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.

١٩. طبقات فحول الشـعراء، محمد بن سـلَّام الجمحي، قرأه، وشـرحه، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، بدون طبعة، د.ت.

٢٠. العدول عن المطابقة بين الضـــمير ومرجعه.. دراســـة نحوية تحليلية في القرآن الكريم، د/أســـماء محمد رفعت عبد الحكيم، بحث منشـــور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة قناة السويس، العدد (٢١)، يونية ٢٠١٧م.

٢١. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د/محمد حماســة عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

٢٢. علم المعاني "دراســـة بلاغية ونقدية لمســـائل المعاني"، بســـيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج٢/ص١٢٣.

٢٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق د/عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، بدون طبعة، د.ت.

٢٤. الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراســـة/عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـــ– ١٩٩٨م.

٢٥. الكليات "معجم في المصـــطلحات والفروق اللغوية"، أبو البقاء أيوب بن موســـى الحســـيني الكفوي، أعده، ووضـــع فهارســـه د/عدنان درويش، محمد المصـــري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

٢٦. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق/عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، بدون طبعة، د.ت.

٢٧. اللغة العربية معناها ومبناها، د/تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، بدون طبعة، د.ت.

٢٨. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٩. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ضبطه، وصححه، ووضع حواشيه/فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٠. المساعد على تسهيل الفوائد، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق وتعليق د/محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣١. المطابقة وأحكامها "دراسة نحوية تطبيقية"، د/عوض إسماعيل عبد الله، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، العدد ٢٨، ٢٠١٠م.

٣٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ضبطه، وصححه، ووضع فهارسه/أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٣. معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، القاهرة، بدون طبعة، د.ت.

٣٤. النحو الوافي، عباس حسن، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٣٥. الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها كلية الدراسات العليا والبحث العلمي–جامعة الشارقة، مطبوعات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.